نحو تأسيس لسوسيولوجيا الشباب في الجزائر

كريم شويمات: أستاذ محاضر أ
قسم العلوم الاجتماعية - جامعة البليدة 2
سعود حجال: أستاذ محاضر أ
قسم العلوم الاجتماعية - جامعة تلمسان

الملخص

نحاول من خلال هذا المقال تقديم مساهمة علمية حول سوسيولوجيا الشباب والذي يعد من الحقول المعرفية الهامة في حقل علم الاجتماع، من خلال تفكيك وقراءة الأبعاد المتعددة المكونة له، برؤية سوسيوجية تسمح لنا بالمساهمة في إثراء وتوسيع زاوية الفهم حول الفئة الشبابية وبصفة خاصة في المجتمع الجزائري، وهذا بالتطرق إلى عناصر تمثلت في خصائص هذه الفئة وتمثلاتها في المجتمع، مع التنويه إلى إبراز إسهامات المهتمين والمنظرين المشتغلين في هذا المجال ومساهمتهم في إماطة اللثام على الكثير من الخبايا التي تكتنف هذا الحقل المعرفي.

الكلمات المفتاحية : سوسيولوجيا الشباب، المراهقة، التمدرس، الأوساط الاجتماعية، الاندماج.

Abstract

Through this article, we will present a scientific contribution in the sociology of young people, clarifying the limits of this age range and then going on to highlight its general characteristics in a brief and unlimited manner, since it is A transitional period between childhood and mature age.

The importance of sociology to the category of young people will be taken into account later, noting certain theorists and their contributions in this field of knowledge. We will also talk about social environments related to young people such as school, family, open environment...

Finally, we will conclude by the notion of time management.

Key words: Sociology of youth, adolescence, schooling, social environments, integration.

1- المقدمة

لم يجمع الباحثون على تحديد الفئة العمرية للشباب، فنجدها تتمثل في "الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين 18 سنة والرابعة والعشرون أي الذين أتموا عامة الدراسة العامة"، وهناك "يقصد بها عادة الأفراد في مرحلة المراهقة، أي الأفراد بين مرحلة البلوغ والنضج، إلى غاية سن الثلاثين"، أما البعض الآخر فيرى أننا لا نستطيع تحديد فتراتها تحديدا واضح المعالم، ولا يمكننا القول من أين تبدأ وأين تنتهي... فهي لا تقتصر على ما بين العشرة والثلاثين كما يزعم البعض، ولا تنحصر بين الثامنة والأربعين كما يزعم البعض الآخر... تتداخل فترات العمر فيها بعضها مع بعض وتؤثر كل مرحلة منها وتتأثر بما يسبقها من مراحل، "فهي جزء من عملية التنشئة الاجتماعية التي تبدأ وتستمر طيلة الحياة".

السؤال الذي نطرحه، كيف ينظر علماء الاجتماع لمفهوم الشباب وما هي الحدود التي وضعوها له؟

يرى بيار بورديو أن "الشباب ماهي إلا كلمة... فكلمة "الشباب" أو "الشيوخ" هي معنى للتعريف رمزيا للانتماء الحالي أو المستقبلي، يفهم في هذا المعنى أن السن هو شكل للتموقع الاجتماعي للفئات"، "فالتموقع في مرحلة الشباب أو المرور إلى هاته المرحلة، حددها علماء الاجتماع بثلاث خصائص تُترجم في العلاقة مع التغير في المكانة الاجتماعية، بداية الحياة المهنية والخروج للعمل، ضف إلى ذلك الانفصال عن العائلة الأصلية، الزواج". فإشراك هذه الخصائص يسمح بقراءة المرور إلى مرحلة الشباب.

فالغرض من علم الاجتماع هو "إنشاء سوسيولوجيا مقارنة بين فئات الشباب على ضوء التشابهات والاختلافات الموجودة بينهم"، فكل فرد يتصف ويتميز بالتفرد، إلا أن انتماءاته تعمل على بلورة كيانه وهذا من خلال الجماعات الموسعة كالطبقة، المهنة، النقابة، الجمعيات... والجماعات الصغيرة التي ينتمي إليها كالعائلة والأصدقاء.

2- الماهية النظرية لحدود فئة الشباب

في هذا الصدد يشير الباحث "سايب محمد مزات" (Musette S.M) إلى المشكل الإبستيمولوجي الذي اعترض العلوم الاجتماعية أمام مفهوماتية الشباب فذهب علماء النفس إلى اعتباره موضوعا غير محدد في إطار دورة الحياة الفردية حيث نجده متقوقعا بين الطفولة، المراهقة، سن الرشد، والشيخوخة، غالبا ما ترتبط بصفات معينة كالقوة، النشاط والإرادة كما تظهر بين طرفي نقيض الإبداع و تقدير الذات من جهة، والانحراف بشتى صوره من جهة أخرى، أما بالنسبة لعلماء

الديموغرافيا والإحصاء فإنهم منشغلون بالتقسيم الكمي لأجزاء الحياة حول فئات السن، معنى ذلك أن "مفهوم الشباب يظهر كقسم من السكان معرف بفئة (15- 24 سنة) على المستوى الدولي"[1]، هذا الاختزال لدى الشباب كفئة عمرية أو في طور طبيعي بين الطفولة والكهولة سيفرغها حتما من محتواها الاجتماعي لأن تبني هذه المقاييس يعتبر شكلا اعتباطيا، يختلف حسب الإشكاليات البحثية مما يعني أن حدودها تبقى غير واضحة فعلى سبيل المثال هناك من "يحدد فترة الشباب بداية من سن الثالثة عشر حتى سن الواحدة والعشرين، وهناك من يبدأها بالرابعة عشرة ويحدد فترتها الأولى بنهاية الثامنة عشرة وفترتها المتأخرة بسن السابعة والعشرين، كما يرى بعض الباحثين أنها تبدأ عند حدود الخامسة عشرة ويصلون بنهايتها في حدود الثلاثين"[2] فأمام التنوع في تحديد الفئة "خرجت الأمم المتحدة في السنة الدولية للشباب عام 1985 م بأن فئة السن الخاصة بالشباب اصطلاحا تتحدد ما بين (15 و24 سنة) وهي نفس الفئة التي تبناها البنك العالمي سنة 2003م"[3]، أما بالنسبة لرجال القانون فإنهم يركزون على الخصائص القانونية في تقطيع دورة الحياة المحددة بالأغلبية الجزائية -19 سنة- والأغلبية المدنية المحددة بـ 18 سنة، حيث تتم مقابلة ثنائية بين القاصر والكبير، وعليه يتم تناول الفئة الشبابية تحت غطاء القاصر بنصوص منظمة لهذه الفئة التي لم تعد مسؤولة كل المسؤولية إزاء تصرفاتها هكذا نجد "قانون العقوبات على سبيل المثال يحدد سن التمييز بـ 13 سنة وابتداءا من سن 14 سنة نجد أن الفرد له الإمكانية للتمييز بين الخير والشر، هذا يعني احتمالية وجود البعض من القصر في مراكز إعادة التربية، وقس على ذلك التحديد الأدنى لسن الزواج بـ 18 سنة للإناث و21 سنة للذكور[4] وعليه فإن عقد الزواج يمثل بداية إحداث القطيعة بين عالم القصر وعالم الكبار بالرغم من أن الزواج يمكن أن يكون خارج الحدود السالفة الذكر (الجانب الثقافي) فهو استهلاك خارج إطار القانون، لكن هذا التحديد القانوني لا يقنعنا في كونه جامدا وفارغاً من محتواه الثقافي الذي يختلف من مجتمع إلى آخر، حتى في ظل المجتمع الواحد.

تظهر المقاربة البيولوجية من جهة أخرى متميزة في تحديد فئة الشباب، حيث تبدأ هذه المرحلة عادة بتخطي مرحلة بلوغ الحلم أو اكتمال النضج الجنسي يحدث هذا عادة في سن الخامسة عشرة أو قبلها بقليل وتغطي مرحلة الشباب مدة عشر سنوات لتنتهي في الخامسة والعشرين أو ما حولها، "يشير مصطلح بلوغ الحلم إلى الناحية الجنسية من النضج أو الارتقاء التي تتمثل في اكتساب القدرة على القذف عند الذكر والحيض عند الأنثى بالإضافة إلى الخصائص الجنسية الثانوية"[5]إذا كان

البلوغ أو الحلم حدا فاصلا تبدأ معه مرحلة الشباب إلا أن اعتماده لا يعطي حلولا موضوعية، لأنه غير دقيق حيث يختلف من شخص إلى آخر وقد تتدخل عوامل وراثية أو مرضية متعلقة بالتغذية ونمط العيش لتؤثر في مراحل تكونه ،أما بالنسبة لعلماء الاقتصاد، فإن اكتشافهم لفئة الشباب ارتبط غالبا بسوق العمل أي عندما بدأت بعض المشاكل تطرح نفسها فيما يخص التعطل وعوائق الاندماج المهني وتفسير السلوكات غير المستقرة لهذه الشريحة تفسيرا ماديا، عادة ما تتقاطع هذه النظرة مع الطابع القانوني والاجتماعي، فإذا تكلمنا عن الاندماج المهني فهذا يبقى مرهونا بالسن الأدنى القانوني للعمل الذي يختلف من مجتمع إلى آخر، أما من حيث برامج التشغيل نلمس توسيع لشريحة الشباب كما هو الشأن بالنسبة لتجربة عقود ما قبل التشغيل أو تجربة المؤسسات المصغرة الموجهين أساسا لفئة الشباب تحصرها في الفئة العمرية (19- 35 سنة) في الجزائر، لكن هذا التقسيم يبقى يخضع لاعتبارات إدارية، سياسية ... إلخ.

3- بعض الخصائص العامة لفئة الشباب

"ففي بحث استطلاعي أنجز في فرنسا مس حوالي 300 شخص يتراوح سنهم ما بين 18 و30 سنة في العاصمة باريس حول تمثلاتهم إزاء سن الرشد، فإن العبارة التي ظهرت بقوة في أجوبة المبحوثين تتلخص في "الإحساس بنوع من الاستقلالية، المسؤولية اتجاه الذات، القدرة على اتخاذ القرارات الخاصة أو تحمل نتائج الأفعال، بالإضافة إلى أن يكون الشخص ناضجا"[6].

يمكننا من خلال هذا الكلام، أن نميز بين جماعة الشباب وجماعتي الأطفال والراشدين، فقد تشهد مرحلة الشباب تحولات هامة في اهتماماتهم المظهرية، النفسية والاجتماعية فبعد أن تظهر في الشاب بوادر رجولته وفي الفتاة "الشابة" بوادر أنوثتها، فإن كل واحد ينصرف إلى الاهتمام بالعلاقات العاطفية التي تربطه بالآخر وتصبح هذه العلاقة مركز اهتمام خاص في حياتهما الشيء الذي يقوي هذه العلاقة هو الاهتمام بالجانب المظهري كوسيلة تعبيرية ورمزية في آن واحد من خلال زيادة الاهتمام بملابسهما وهما يفعلان هذا مدفوعين بالرغبة في تأكيد الذات من خلال لفت وجلب النظر، لهذا الغرض تظهر الموضة كسلوك شباني "عبارة عن التغيير الدائم في الشكل والذوق فهي طبيعة في الإنسان حتى يكون مختلفا عن غيره، هذا ما نجده عند جيل الشباب في الثورة على كل ما هو قديم"[7]، تذكرنا هذه الصورة بظاهرة الرفض لدى الشباب اتجاه المعايير والقيم والسلطة الممارسة من طرف الراشدين وهو

مرتبط إلى حد ما بالظروف التاريخية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها المجتمع كما تفسر أيضا في ضوء النسق القيمي السائد حيث يعد الشباب مصدرا للتغيير الثقافي والاجتماعي، هذا ما حدث في "ثورة مايو 1968م بفرنسا حين رفع الشباب على جدران جامعة السوربون شعارا مؤداه "الثورة البرجوازية ثورة قانونية والثورة البروليتارية ثورة اقتصادية أما ثورتنا فهي ثورة ثقافية نفسية"[8]، قس على هذا الحدث التاريخي أحداثا أخرى كتعبير الشباب عن سخطهم على النظام القائم في الدول الشيوعية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والنزاعات بين السكان السود في جنوب إفريقيا والنظام الحاكم آنذاك حول التمييز العنصري، بالإضافة إلى انتفاضات الشباب على الساحة الاجتماعية في كل من تونس (1984م) ثم الجزائر (1988م) وأخيرا المغرب الأقصى في (1991م)، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن الشباب يحاول التخلص من كافة الضغوط وألوان القهر المتسلط عليه من أجل التأكيد على خاصيته كفاعل اجتماعي، كما تظهر لدى الشباب مشاعر التودد نحو الآخرين تصل في حالات متطرفة إلى حد التوحد مع البعض يحدث هذا خاصة لدى الإناث، نقصد بالتوحد "تبني قيم واتجاهات وعادات الآخر حتى يساوي بينه وبين نفسه ويتصرف على النحو الذي يتصرف به"[9].

يتميز شباب اليوم بتناقض واضح أمام ظاهرتي الاستقطاب والتجانس "فظاهرة الاستقطاب عند الشباب تظهر من خلال الذين نجحوا في اكتساب شهادات ووسائل وتنوعت خبراتهم الاجتماعية، ومن جهة أخرى الذين لم ينجحوا في ذلك وهم يخضعون لمخاطر متزايدة من التهميش المهني والاجتماعي"[10]. أما ظاهرة التجانس فهي تنطبق على القيم والمعايير الثقافية والاستهلاك والتطلعات المشتركة بين مجموع الشباب على غرار جماعتي الأطفال والراشدين.

أما بالنسبة لظاهرة الاستهلاك، فإن الشباب بمختلف أعمارهم نجدهم مندفعين ومقبلين بقوة على ما تنتجه المؤسسات المكلفة بالصناعات الثقافية وصناعة السلع التي بدأت تأخذ بعين الاعتبار الأذواق واختلافاتها "بالرغم من أن المداخيل المالية تعتبر ضعيفة لديهم وفي بعض الأحيان تقف عائقا أمام الرغبة في النمط الاستهلاكي، حيث توجه مصاريفها إلى القطاع التسلوي فإن الاستقلالية المالية لهم تبقى محدودة، لم تخرج بعد من الإطار العائلي فإما أن تأتيها من الأسرة كمصروف جيب أو من ممارسة بعض الأعمال الظرفية الصغيرة كالتسوق، حمل البضائع...إلخ"[11].

إذا كانت هذه الفئة الاجتماعية تشكل قوة للاستهلاك فهي بدورها تشكل قوة للإبداع والإنتاج نظرا لما تتصف به من قوة، حيوية وإرادة، إن تمديد فترة التكوين التي تتطلبها المناصب التقنية والإدارية المعاصرة بالإضافة إلى التراجع في إمكانية التوظيف نظرا للطابع التأقيتي لمناصب العمل التي يطرحها سوق العمل للشباب، فإن مرحلة هذه الفئة قابلة للتمديد إذا اعتبرناها دورة حياة أو فترة المرور إلى سن الرشد بفعل الظروف الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية التي تمر بها المجتمعات، هذا ما يجعلنا نقول بأن "الشباب ما هو إلا فضاء اجتماعي مؤقت".[12]

4- الشباب والبحث عن الهوية

يأكد الباحثون أنه بجانب المؤسسات الاجتماعية والتي يبقى لها الدور الفعال في اندماج الأفراد في المجتمع، والتي من خلالها تتأسس العلاقة بين الفرد والبنى المختلفة للمجتمع، إلا أنه لا يمكن إغفال وتجاوز عامل جد مهم في هاته العملية، والذي أشار إليه عالم الاجتماع "دومنيك شنيبر" بـ "بالهوية الاجتماعية والمهنية "، بحيث يرى "في كتابه "عنف البطالة" أن الهوية الاجتماعية لدى الفرد تتحقق أو تتحدد بعد تحقيق وتحديد الهوية المهنية أي أن منصب عمل يعد عاملا للاندماج الأفراد في المجتمع، بحيث إذا فقدت هذه الهوية (المهنية) أو صعب تحقيقها لمواجهة متطلبات الحياة، يتعرض الشاب العاطل لمختلف الضغوط التي ينجم عنها الكثير من المظاهر السيئة والمشكلات، وفي هذا سياق اجمع الكثير من الباحثين أن هناك علاقة جد وطيدة بين البطالة والعنف عند الأفراد، فتعقد الواقع الاجتماعي والاقتصادي يفسر صعوبة الحصول الشباب على مناصب العمل، فهاته الحالة تجعل الشاب في بحث دائم عن فرص عمل لغرض تحقيق هويته المهنية والتي من خلالها يرتقي في سلّم المكانة الاجتماعية، فالعمل حسبه يكرس لوضعية النضج Adulte بالنسبة للفرد ووسيلة لاكتساب مكانة طبيعية للوجود ، فغياب هذه القيمة تجعل الشاب يشعر بنوع من الكبت والحرمان المادي والاجتماعي والنفسي، كما يصاحبه الشعور بالدونية والإهانة التي تجعله يشعر بعدم الفائدة والضعف الاجتماعي نظرا لعدم قدرته على التحرر من حالة التبعية والمساعدة بكل أشكالها ممّا يوقعه في الانحراف، فحتى في حالة غياب العمل لابدّ من توفير حماية اجتماعية فعلية للشاب تنوء دون الانزلاق والخروج عن القيم والمعايير المتعارف عليها[13] ، فتحقيق الهوية المهنية تعد الغاية الأساسية في حياة الفرد، ومعبر عنها بمنصب العمل أو بعبارة أخرى الفعل المنتج المأجور الدائم ، ففقدان هاته الهوية أو صعوبة تحقيقها، تجعل الشاب في حالة اغتراب دائم عن المجتمع، فالهوية الاجتماعية تحدد بعد تحقيق الهوية المهنية وهذا يعطي لنا

الصورة عن الوضعية الصعبة التي قد يعيشها هؤلاء الشباب جراء فقدان منصب العمل أو عدم الحصول عليه، وهذا بازدياد الضغوط النفسية والاجتماعية عليهم، بحيث يصنفون ويصورون في الإطار العام على أنهم عالة على المجتمع من جهة، وعلى العائلة من جهة أخرى.

فهاته الحالة أو الصورة تدفع بالكثير من الشباب إلى التنازل عن بعض شروطهم من أجل الحصول على العمل، فالشاب المتخرج من الجامعة بشهادة جامعية مثلا، يضع وقت تخرجه جملة من الشروط لقبول عمل، كالأجر المحترم، التأمين والحقوق القانونية، عمل قار، قريب من المسكن، العمل في مجال التخصص...الخ، لكن بعد اصطدامه بالواقع يجد نفسه يتخلى عن بعض شروطه شيئا فشيئا، فكلما زادت مدة البطالة كلما تخلى هؤلاء الشباب عن الكثير من شروطهم من أجل الحصول على العمل، "فالشغل المؤقت يعبر عن سوق عمل ثانوي لعدم اتصافه بخاصية الاستقرار مما يؤدي إلى تأخير الدخول لسوق العمل الأولي".[14]

5- الاهتمام السوسيولوجي بفئة الشباب

لقد تم تناول ظاهرة الشباب بصور مختلفة في الحقل السوسيولوجي بالنظر إلى الأدبيات المرجعية لهذا الحقل المعرفي فإن البدايات الأولى للاهتمام بفئة الشباب تعود بنا إلى النصف الثاني من القرن 19م مع الأفكار التي قدمها لنا إيميل دوركايم في كتابه "السوسيولوجيا والتربية" حينما يقول: "التربية هي التنشئة الاجتماعية المنهجة لجيل الشباب"[15] يمكن بفضل هذا التعريف أن نفتح الطريق الفعلي لسوسيولوجيا الشباب، حيث يبدأ الحديث عن الطفل كمرحلة عمرية متميزة باعتباره كائنا لا اجتماعيا لم يتسلم بعد الخطوط التي تمحى في الإكراه الاجتماعي المخزن ولم تتم بعد عملية التمرن على الإخضاع الضروري للقوانين المكتوبة وغير المكتوبة التي تسير المجتمع، لكن التربية هي التي ستقوم بدورها على محو هذا الغطاء البيولوجي لتنتقل به ككائن اجتماعي، هنا تظهر الحتمية التي يقدمها المجتمع للفرد في خضم التعقيدات والتناقضات الخاصة به.

يبدو أن التناول السوسيولوجي لهذه الفئة بقي ضئيلا بعد هذه المحاولة مما فسح المجال لاهتمامات أخرى، حيث أحدثت الدراسات الأنثروبولوجية منعطفا مهما بإعادة النظر في بعض المقولات الخاصة بالمراهقة، ومن أبرز المساهمين في هذا المجال نجد "مارغريت ميد" Mead (M)، حيث تنطلق من دراستها لبعض القبائل البدائية (المانوس) و(الساموا) في نهاية العشرينات (القرن 20م) من الإقرار بحداثة ظاهرة المراهقة في المجتمعات المعاصرة وهذا عن طريق عقد مقارنات بين المجتمع الأمريكي

الذي ظهرت فيه مشاكل المراهقين نظرا لطبيعة هذا المجتمع الذي يتميز بالهجرات، تعدد أنماط السلوك، تعارضها وكثرة الجماعات الدينية والوضع الاقتصادي المتقلب ومن جهة أخرى نجد القبائل البدائية السالفة الذكر التي لم تعرف ظاهرة المراهقة "نظرا لبساطة المجتمع، سهولة المرور إلى سن الشباب وقلة البدائل أيضا، المساواة في معاملة الجنسين، المعرفة المتاحة للجميع، الاستقلالية المتمثلة في عدم تبعية الأبناء للوالدين وإمكانية الانصهار في إطار الجماعة"[16]، مهما يكن من أمر فإن الأمريكيين يعتبرون السباقين في نقد النظرة الضيقة للمراهقة حينما بدءوا في تطوير نظرية تعتبر التنشئة الاجتماعية مرحلة لخلق التلاؤم المتدرج مع القيم والأدوار الاجتماعية، حيث أصدرت المجلة السوسيولوجية الأمريكية سنة 1936م عرضا خاصا للبحوث الصادرة حول المراهقة فأوردت المقولة الآتية: "لا يمكن تحديد المراهقة بفترة النضج الفسيولوجي والبلوغ (الحلم)، بل يجب البحث عن بدايتها عندما لا ينظر المجتمع إلى الإنسان بأنه طفل بل عندما ينتظر منه أن يتحمل مسؤوليات راشدة"[17]،كما أبرزت المجلة ظاهرة صراع الأدوار بين طموحات الشباب والتبعية للسلطة الأبوية مركزة على المحيط الاجتماعي الذي يلعب دورا هاما في تحديد ملامح المراهقة، أما في بداية الأربعينيات من القرن 20م، فقد برزت أفكار عالم الاجتماع الأمريكي "تالكوت بارسنز- Parsons (T)" في مقالاته الأولى التي خصصها لتحليل الفئة الشبابية في الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك، حيث يبدأ الحديث عنها باعتبارها ثقافة متميزة في مرحلة عمرية معينة إنها "ثقافة اللامسؤولية وخطها المتميز هو الأخذ على سبيل المثال لا الحصر بكل ما هو جميل في طريقة العيش بالنسبة للجنسين فالذكور يفضلون ويحبذون التفاخر الرياضي في حين نجد الإناث يفضلن المودة أو المظهر اللائق المبني على سلطة الجذب والإغواء"[18].

تبدو فئة الشباب بالنسبة "لبارسنز" كنوع من الممارسة الاجتماعية أكثر ترميزا للواقع الاجتماعي تظهر مؤشراتها من خلال اللقاءات العاطفية التي تجمع الإناث بالذكور، تبادل أطراف الحديث، التقبيل الجنسي، طريقة خاصة في الجانب المظهري ... إلخ، والمغذاة من طرف ظاهرة تمديد فترة التمدرس، فثقافة الشاب والتي هي بالفعل ثقافة المراهقين نجدها بالمقابل تتجاوز ثقافة الطفل المبنية أساسا على السلطة المطلقة للوالدين، ومن جهة أخرى فهي لا تمثل ثقافة الراشدين لأنها تنغمس في قيم ومعايير مضادة للانضباط والمسؤولية التي يعرفها عالم الراشدين مع اختلاف طفيف بين المراهقة والشباب يكمن في "أن المراهقين يبقون تحت التبعية والسلطة الأبوية النسبية (حماية الوالدين) فهي أقرب إلى مرحلة الطفولة منها إلى مرحلة

الرشد، أما الشباب فإنه يرتبط بنوع من الاستقلالية الجزئية أكثر حينما يحاول الحصول على سكن مختلف عن السكن العائلي، إلا أنه يبقى ممولا في البداية من طرف الأسرة ولكن هذه الفئة لم تمر بعد إلى مرحلة الرشد"[19]،أما بخصوص "إيزنستاد "(Eisenstadt) فإنه يربط المسألة المعيارية للسن بالهوية ذلك أن فئة الشباب تظهر معقدة فالتعريف الثقافي للسن مهم يعطينا فكرة عن هوية شخص ما، مختلف حاجياته النفسية، طموحاته ومكانته في المجتمع، المعنى العام لحياته على هذا الأساس فإن "الانتقال من طور الطفولة إلى طور المراهقة وحتى سن الرشد مرهون بالاستقلالية النفسية، إعادة التنظيم الذاتي، ربط هذا الانتقال بصور ثقافية عامة، وبريتم كوني وبنماذج محددة للأدوار، كل هذه العناصر تتظافر فيما بينها لتشكل النموذج القاعدي للشاب في مجتمع ما"[20]، كان يجب الانتظار إلى غاية منتصف الخمسينيات من القرن 20م حينما شرعت الأمم المتحدة من خلال مؤسسة اليونسكو في إجراء دراسات سوسيولوجية حول الشباب خاصة في القطاع التربوي، "تبقى القفزة الحقيقية في هذا الميدان (الشباب) لم تبرز إلا بعد "انتفاضات هذه الشريحة الاجتماعية في 1960 في الولايات المتحدة الأمريكية وفي شهر ماي 1968م في فرنسا ثم قليلا في بلدان أخرى من العالم"[21].

نسجل ابتداءا من فترة الستينيات من القرن 20م بروز وتألق الأعمال الفرنسية تحت مقاربات سوسيولوجية مختلفة من بينها أعمال "موريس دوبيس – Dobesse(M)" الذي يعتبر من أحد كبار المهتمين بسوسيولوجيا الشباب في المرحلة المعاصرة، حيث يرى أنه كثيرا ما يتم الخلط بين مصطلح الشباب والمراهقة في حين أنهما لا يحملان المعنى نفسه، "فالمراهقة ذات مدلول عام تعني مجموع التحولات الجسدية والسيكولوجية التي تحدث بين سني الطفولة والبلوغ وعندما تتحدث عن "الحلم"، فإننا نقصد الجانب العضوي للمراهقة خاصة ظهور وبداية الوظائف الجنسية، أما الشباب فيعني الجانب الاجتماعي للمراهقة ويتجلى في الجيل الذي وصل إلى اكتمال النضج"[22]، أما عن عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو Bourdieu (P) الذي يعتبر الحدود بين الشرائح العمرية هي حدوداً اعتباطية، أي لا نستطيع أن نعرف أين ينتهي الشباب لتبدأ الشيخوخة، هذا يعني أن الحدود بينهما كانت دائما رهان صراع يتجلى مثلا في "العلاقة التي كانت قائمة بين النبلاء والشباب في فلورنسا في القرن 14م، هذه العلاقة كانت تحكمها ثقافة تربط الشباب بقيم الفحولة والرجولة والعنف والقوة في حين تبقى قيم الحكمة والرصانة من شيم الشيوخ، مما يؤهلهم لامتلاك الثروة والنفوذ فأصحاب الثروات كانوا يحرصون على أن يظل من هم مؤهلون لخلافتهم في حالة

شباب، أي في حالة لا مسؤولية وبالتالي غير مؤهلين للجاه والسلطة"[23]. يركز بورديو على فكرة الصراع بين الشباب والشيوخ، حيث يظهر في كل المراتب الاجتماعية فجزء منه يظهر بين البرجوازيين أنفسهم، فكلتا الفئتين ليستا معطاة بل يتم البناء الاجتماعي لهما في إطار الصراع الاجتماعي "فمصلحة الشيوخ هو جعل وإرجاع الشباب إلى حالتهم الفتية وجعلهم غير مسؤولين (عديمي المسؤولية) ومن مصلحة الشباب هو إرجاع الشيوخ إلى حالتهم العجزية وذلك بوصفهم متقهقرين (تراجعيين)"[24]، على هذا الأساس وإن اعتبر الشباب ككلمة انطلاقا من توجه إيديولوجي خاص، فإنه يعتبر بناءاً عقلياً أنتجته بنية اجتماعية معينة، في سياق آخر يرى "هنري موندراس–(H)Mendras" أن السن أصبح يمثل في المجتمعات المعاصرة رهانا اجتماعيا متميزا، "فمنذ ثلاثين سنة تقريبا نجد أن الشبيبة بدأت تتأسس بين مرحلة الخروج من فترة التمدرس (16- 18 سنة) والدخول في مرحلة الحياة المهنية بالحصول على شغل قار نسبيا ثم الزواج الذي يسمح بتأسيس أسرة وهذا في حدود 28 سنة تقريبا، أما بداية مرحلة الشيخوخة فهي تتأسس انطلاقا من تمديد الحياة المهنية إلى سن التقاعد ثم الانسحاب المبكر منها"[25]، هذا التباين القوي بين الكهل، الشاب والشيخ يعني أن سن الرشد يمثل دورة في الحياة انتقالية و مؤقتة بين مرحلتين مختلفتين في طريقة البناء وهما مرحلة الشباب ومرحلة الشيخوخة، بالإضافة إلى هذا، فإن الشباب يشاركون في الحياة السياسية والنقابية بصورة نادرة أو قليلة، بالمقابل نراهم ينتظمون في شكل جمعيات منتظمة وهم الأكثر استهلاكا للمنتوج الثقافي في المجتمع (الموسيقى على سبيل المثال)، أما بالنسبة لـ "هوج كاننغهام – (H)Cunningham" نجده يتساءل عن الأسباب التي تؤدي بالشباب إلى مغادرة الوالدين حسب الأزمنة، فإنه يفرق بين أربعة مراحل تاريخية فيما يخص تطور نماذج الدخول في حياة الراشدين. تنطلق المرحلة الأولى من القرن 17م إلى بداية القرن 18م هنا يغادر الشباب (الوالدين) مبكرا والسن العادي الذي كان يسمح للقيام بهذا السلوك هو 14 سنة حتى يجعلوا أنفسهم خدمة العائلة في الأعمال المنزلية بالنسبة للإناث والأعمال الفلاحية بالنسبة للذكور، أما المرحلة الثانية فهي تبدأ انطلاقا من مرحلة التصنيع والتي تتميز بمشاركة قوية للأطفال في الاقتصاد العائلي يترجم بقوة الاستمرارية بين عالم الراشدين وعالم الأطفال أي القدرة على المساهمة في سعادة العائلة، أما المرحلة الثالثة فتنطلق عادة بعد الحرب العالمية الثانية وتنتهي في فترة السبعينيات تميزت بتمديد فترة التمدرس، خفض سن الزواج وضعف الإحساس بالواجب اتجاه الوالدين، أما المرحلة الرابعة فهي تميز فترة الثمانينات حيث يجد الشاب أمامه مشكلا في الاندماج المهني فهي وضعية غير مستحسنة، صعوبة الحصول على السكن

بالإضافة إلى محاولة الاستقلالية الجزئية عن الوالدين، ففعل مغادرة الوالدين حسب كاننقهام لا يمكن ربطه فقط بمرحلة الزواج ولا يمكن أيضا ربطه بتقمص أدوار البالغين فحسب. " ينبغي أن نفرق بين فعل العيش بعيدا عن البيت وفعل مغادرة الوالدين"[26].

أما بالنسبة للاهتمام السوسيولوجي بفئة الشباب في الوطن العربي فهو يعد ضئيلا، كثيرا ما ترك لعلوم أخرى كعلم النفس وعلوم التربية، حيث بدأ الاهتمام بالجوانب العلائقية والسيكولوجية للشباب في مناطق من العالم العربي "نبين من خلال تحليل وتصنيف أكثر من 250 عملا علميا حول الشباب العربي حتى نهاية الثمانينات أن علم النفس وعلوم التربية استأثرا بأكثر من 61% من هذه الأعمال، في حين لم تتجاوز الدراسات السياسية 1,5% والدراسات الأنتروبولوجية 0,5%»[27]، تعد المساهمة السوسيولوجية في الجزائر إزاء فهم الفئة الشبابية متواضعة، حسب الباحث "محمدي سيدي محمد" وذلك إما من خلال المقالات العلمية، البحوث الأكاديمية وما تنشره مراكز البحث على المستوى الوطني "من خلال 48615 مرجعية حول قاعدة المعطيات في الأنترنات حول البحث العلمي في الجزائر والمقدم من طرف مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني نجد 0,12% تهتم بمرحلة الشباب"[28]، هذه الأرقام يشير إليها الباحث "جيلالي ساري" حينما يقول: "الشبيبة الجزائرية هي فئة عمرية قليلة الدراسة في الجزائر»[29].

6- الشباب و الأوساط الاجتماعية المرتبطة به

إن سلوك الشباب يفهم من خلال الأهمية التي يعطيها للأنساق الاجتماعية التي يرتبط بها كما أن درجة اندماجه تتحدد حسب الجاذبية أو الاستمالة التي تمارسها هذه الأنساق عليه ونقصد بهذه الأخيرة: العائلة، النسق المدرسي بمفهومه الواسع والوسط المفتوح هذا ما أشار إليه الباحث "مصطفى بوتفنوشات" لهذا الغرض سنلخص ما تفضل به الباحث السالف الذكر على النحو الآتي:

أ- العائلة

تحدد العائلة القاعدة الأساسية لسلوك الشاب، من خلالها يبني أهم مرجعياته وشبكة اتجاهاته، تعتبر المؤسسة الأولى في التنشئة الاجتماعية فمنها يتعلم الشاب قيم التسامح والتضامن التي تميز العائلة الجزائرية، لكن إذا كانت قادرة على مساعدة الشاب خاصة البطال قبل أداءه الخدمة العسكرية أو حتى أثناءها فإنها تطلب منه بعد ذلك ووفق منطق الواجب أن يقوم بنشاط اقتصادي حتى لا تنحط مكانته الاجتماعية، وعليه أيضا تقاس مكانة العائلة فقد تتراجع عن العون المادي له تدريجيا، فإذا كان

النشاط الممارس غير قانوني -لا رسمي- باعتباره المجال الأسهل للحصول على مقابل مادي فإن العائلة تقر بقانونية هذا النشاط من ناحية القيم خاصة إذا كانت تتحكم في توزيع أدوار الذكورة والأنوثة وتتدخل في تسيير نشاطاتهم اليومية، إن الاختلالات العائلية والتغيرات التنظيمية في البناء الأسري تؤثر بطريقة أو بأخرى على الشاب، فمن جهة نلاحظ التوجه العائلي نحو الأسرة الصغيرة خاصة في المراكز الحضرية التي نتجت عنها نزعة فردية كواقع اجتماعي وهذه الظاهرة طرحت مشكلة السلطة الأبوية داخل الأسرة، ومن ثم قيم الانتماء والاستقلالية حيث يقضي الشاب وقته بعيدا عن أسرته، يتحرر من أساليب الضبط الاجتماعي خاصة في الوسط المفتوح "فالشاب ليس حالة طبيعية بل هو مخلوق ثقافي أي أنه نتاج أوضاع تتجاذبه حياة الأسرة التي ينتمي إليها والواقع الاجتماعي الذي يحتقر إلى حد ما العمل اليدوي ويشجع على امتلاك الثروة"[30].

تقودنا زاوية تحليلية أخرى إلى فهم الأصل الاجتماعي للشاب أي الانحدار الأسري المرتبط بالانتماء الطبقي الذي أصبح يميز المجتمع الجزائري خاصة بعد التحول نحو اقتصاد السوق، فإن الشاب الذي ينحدر من أسرة فقيرة يكون أكثر معنيا بالثقافة التقليدية والأمر ينطبق أيضا على أولئك المنحدرين من الأوساط الريفية، بينما نجد العكس عندما يرتبط الشاب بالفئات الأكثر غنى في المجتمع فهي تتجه نحو المعاصرة ذلك "أن الطبقات الأكثر فقرا في المجتمع هي الأكثر تقليدية نظرا لضعف الموارد الاقتصادية والثقافية كي تواجه التغير، أيضا الطبقات الريفية نظرا لطبيعة تنظيمهم الاقتصادي فهم تقليديون، ومن جهة أخرى نجد الطبقات الغنية في المجتمع هي الأكثر قابلية للحداثة لأن لديها مخزون كبير من الموارد الاقتصادية والثقافية".[31]

ب- النسق المدرسي

يشكل النسق المدرسي الفضاء الأقرب إلى الأسرة، حيث يكمل مسار التنشئة الاجتماعية للشاب نجد أن نجاحه مقترن بنجاح الوالدين إلى حد ما من خلال الشهادة المحصل عليها التي تمكنه من امتلاك سلطة أو "إمكانية المشاركة في السلطة سواء أكانت اقتصادية، سياسية، علمية أو أخرى تساعد إخراج وضعية الأسرة من حالتها اللامعروفة (الخفية) عندما تسمح بقذفه في أروقة جديدة في المجتمع فالعلاقة بين المدرسة والعائلة هي علاقة جذب".[32]

تتضح هذه العلاقة من خلال دراسة ميدانية حول طموحات الشباب وانتظارا تهم المستقبلية قام بها الباحث "طارق راجي" على عينة بلغت 8325 شخص، فقد عبر 80% من المستجوبين أنهم يأملون في مواصلة دراساتهم بعد شهادة البكالوريا بالرغم من أن

الجامعة لا تحضرهم جيدا للدخول إلى الحياة المهنية"[33]، لكن هناك فرقاً بين الطموح والواقع الاجتماعي أو حقيقة النسق المدرسي، ذلك أن هذا الأخير وإن كان من الناحية النظرية يلعب دورا في الارتقاء الاجتماعي ويصنع الحراك الاجتماعي عن طريق المرور إلى عالم الشغل، بالتالي الانتقال من وضعية اجتماعية-اقتصادية إلى وضعية أخرى أحسن حالا، إلا أن هذه الصورة النمطية لا تنطبق على الجميع، فالنسق المدرسي يعيش اليوم حالة مزرية من حيث نوعية التعليم، طبيعة الموارد البشرية والكفاءات المتخرجة منه، على هذا الأساس نلمس وجود عدد معتبر من الخريجين في حالة بطالة، كما أن الشهادة لوحدها في بعض الحالات لا تسمح بالحصول على منصب عمل ملائم في إطار سيادة العلاقات المصلحية والقرابية، هذا ما أدى إلى انحطاطها خاصة مع التزايد الهائل في أعداد المتخرجين، ضف إلى ذلك لم تعد الشهادة مقياسا أساسيا في تحديد المستوى العلمي للشاب أمام ضعف نوعية التكوين وعدم التكامل بين أنظمة التعليم من جهة، ومتطلبات سوق العمل من جهة أخرى.

ج- الوسط المفتوح

يظهر الوسط المفتوح في الهيكل غير الرسمي له، المتمثل في "الحي" والثاني رسمي يتمثل في مختلف المؤسسات الرسمية المرتبطة بفئة الشباب مثل: بيت الشباب، قاعة السينما، النادي الرياضي، المقهى، قاعات الأنترنات، الملاعب.. إلخ ، نجد أن مراقبة هذا الوسط قد تفلت كلية من الأسرة المسجد، المدرسة فهو يملي وظائف أخرى قد لا يسمح بها الوسط الأسري ولا النسق المدرسي.

"لا يعتبر الحي ككل هندسي فقط بل يعرف بنمط حياة خاصة به، يتعلق الأمر بعالم اجتماعي منتج بتحضير جماعي فالحي يتكلم عن نفسه، عن ماضيه، عن أصوله وتطوره وعن سكانه، فهو رهان للذاكرة الجامعية ويعرف تراتبيته من حيث الفئات التي تشكله فقد تظهر لنا كأنها متجانسة بفضل تركيبتها الإثنية فهي مكونة من عدة فئات شبانية"[34]، يعتبر المكان المفضل للشاب حتى يشبع حاجياته المتمثلة في اللعب والتعبير عن طموحاته المختلفة بطرق ووسائل تعبيرية ورمزية في آن واحد، وعليه فإن العلاقة بين العائلة والوسط المفتوح في مجتمعنا عموما هي علاقة نفور أكثر من كونها علاقة جذب، ينقسم الحي بدوره إلى ثلاث فضاءات تميز هيكل المدن الجزائرية، فالأول يتمثل في الحي القريب من مركز المدينة يعتبر المكان المفضل لممارسة نشاط تجاري، يتوفر في العادة على مساحات تسلوية ومحمي من الناحية الأمنية بدرجة أكبر مقارنة بالأحياء الأخرى فهو محل جذب لفئة الشباب، أما الثاني فيتعلق الأمر بالأحياء الشعبية القديمة حول وسط المدينة فهي شبه مخربة،

تتميز بالتغيير السوسيو- ثقافي لساكنيها، نجد فيها بعض آثار التمدن القديمة، بعض الحرف والأعمال التقليدية كما تعتبر فضاءا مولدا لبعض السلوكات الانحرافية نظرا لوعرة مسالكها ومنافذها وقلة المراقبة الأمنية فيها. أما النوع الثالث فهو يتعلق بأحياء ضواحي المدينة، قد تكون أحياءا راقية جديدة أو العكس تحتوي على مرافق عامة ليست بالشكل الذي يتواجد فيه في النوع الأول تطرح عوائق جغرافية كصعوبة التنقل والبعد عن المركز، تستطيع هذه الأحياء أن تشكل فضاء للصراع بين الشباب والعائلات، كما يمكن لها أن تشكل فضاءا للتضامن والتعارف في بعض الأحيان، أما من الناحية الاجتماعية فالحي إذا "يعتبر مجالا فيزيقيا محددا بأطرافه الخارجية والمجال الاجتماعي محدد بالإقصاء المتبادل أو التمايز للمكانات التي يتكون منها أي باعتباره بنية تجاور مكانات اجتماعية مختلفة، فهو يعبر عن المراتب والفوارق الاجتماعية."[35].

7- التواجد الاجتماعي للشباب

إن تطور العمل غير الرسمي يمثل حقيقة اجتماعية لقطاع عريض من الشباب، تحت الظروف المعيشية الصعبة "يمثل البائع على الرصيف (أو المتجول) ضحية نقص العمالة المنتجة يكافح كي يعيش ويستمر في الوجود، كما تخلق المتابعات اليومية لديهم عداءا صريحا تجاه النظام القائم وتعرضهم لمآزق اجتماعية، تهدد وجودهم وتزكي روح التذمر والقلق والخوف من المستقبل".[36] عندما يتحصل الشاب على مدخول مادي فإنه يساهم في إتمام المدخول المادي اليومي للعائلة، إنها طريقة من أجل البرهنة على قدرته، نفعه للوالدين والإخوة، كما يرى البعض أن العمل يطغى عليه الطابع المؤقت فالشاب يطمح للوصول إلى وضعية اقتصادية اجتماعية أرقى وأفضل في المستقبل، وفي هذا السياق كله يشعر الشاب أنه فاقد لهويته الاجتماعية في حالة فقدان أو صعوبة تحصيل الهوية المهنية، فإذا فقدت هذه الأخيرة أو صعب تحقيقها لمواجهة متطلبات الحياة، يتعرض الشاب العاطل لمختلف الضغوطات التي تؤدي به إلى تبني سلوكيات وتصرفات يترجم بها عدم رضاه عن هذا الواقع المعاش، فهي على شكل مقاومة وكرد فعل يصل في أحيان كثيرة إلى عنف في جل صوره الجسدي واللفظي والرمزي، بحيث يتخذ من المحيط الذي يعيش فيه وسطا يعبر من خلاله وبطريقته عن هذا الواقع، فالقيم التي قد تنمو عند هؤلاء الشباب قد تشكل ما يعرف بثقافة الإقصاء وعدم الاندماج وهي نوع من الثقافات التي تنمي عندهم روح الكراهية والعداوة ضد المجتمع، أين يشعر الفرد بأن ظروفه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية السيئة وليدة نظامه الاجتماعي المتخلف الذي يرتكز على معايير التعسف الاجتماعي

والقهر الطبقي التي تخلقها وتعززها الفئات المستغلة والظالمة، وغالبا ما يعبر عن هذه النوازع في صيغ عدة كقيامه بسرقة ممتلكات وأموال هذه الفئات والوقوف ضد مصالحها وأمانيها كلما استطاع إلى ذلك[37]، فالبطالة تعد هاجسا لكل الفئات، وتعبر عن حالة عدم استقرار الفرد في المجتمع، فهي عامل لفقدان المكانة الاجتماعية، والمعبر عنها، بالمكانة والدور الاجتماعي للفرد والتواصل والعلاقات الاجتماعية، فهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن البطالة تتسم بالسلبية وهي مقترنة بظواهر التهميش والإقصاء الاجتماعي وعدم اندماج الأفراد في المجتمع، فالشيء الذي يحط من كرامة الشاب البطال (وخاصة إذا امتدت مدة البطالة)، هو أن يجد نفسه عالة على المجتمع والعائلة على حد سواء، ففي الوقت الذي يفترض فيه أن يكون فاعلا منتجا في مجتمعه مباشرا لعمل يعود عليه بدخل يشعره بكرامته وكيانه ومعيلا لعائلته، -يجد نفسه- في وضع يشعره باليأس والفشل، فيبدأ بالتفكير في الحصول على الكسب من أي طريق مشروع أو غير مشروع، مدلول البطالة لكثير من الفئات يتمثل في عبء إضافي أو عالة العائلة وهاته الحالة لا يتحملها الكثير من الشباب، وبالتالي يدخل في دائرة اليأس والاغتراب، والذي يعني:

أولا- فقدان القوة: ويعني أن الفرد المغترب ينتابه الشعور بالضعف لاعتباره عاجزا عن تغيير الوضع الاجتماعي الذي يتفاعل معه، ولعدم توفر لديه الإمكانيات لمراقبة نشاطه والسيطرة بذلك على الأشياء.

ثانيا- فقدان المعنى: بحيث يفقد الفرد المغترب الهدف لكونه لا يستطيع توجيه أفعاله ومعتقداته، نحو هدف معين، مما يجعل أفعاله عديمة المعنى بالنسبة له.

ثالثا: الانعزال الاجتماعي: والذي يقصد به أن المغترب قد أصبح غريبا عن ذلك المجتمع المنتمي إليه كعضو لأنه لا يستطيع الخروج عن تلك المقاييس المتعارف عليها اجتماعيا وأخلاقيا[38].

فمدلول العمل يتخذ عند الشباب معاني مرتبطة بنظم المجتمع وقيمه، فالفرد يجد نفسه ضعيفا بدون عمل، ويستشعر القوة عند الحصول عليه، فبيئة العمل كثيرا ما تتيح الفرصة لإقامة الصداقات ومشاركة الآخرين في أنشطة متعددة داخل نطاق العمل وخارجه، فالعمل يفتح للشباب باب التفاؤل للمستقبل، بإزاحة عنه القلق والخوف من المستقبل، فغياب هذا الإطار أو العزلة بسبب البطالة تتضاءل دائرة الأصدقاء والمعارف، وتأخذ بالتقلص والانحسار وتؤدي إلى الانعزالية، والتي تعتبر إستقالة من الحياة الاجتماعية والجماعية،[39] فالاختلاف الموجود في مفهوم ومدلول العمل بالنسبة للشباب، يدل على أن مفهوم العمل يحمل دلائل و تمثلات متعددة،

فكثير من الشباب يعتبرون أن العمل يعد مسلكا أو طريقا مفضلا لاكتساب مكانة اجتماعية في المجتمع، "فهو لا يمثل جزء من حياة الأفراد فقط، بل يحدد في الوقت نفسه وبقدر كبير مكانته الاجتماعية، ومن ثم يحدد هويته وكرامته"، كما يحمل مفهوم العمل مدلول يتعلق ببناء وتكوين أسرة و الذي يعد أمرا صعبا إذا كان الشاب بدون عمل، فإذا ما عزم على خطبة فتاة، فالسؤال الأول الذي يطرح عليه هو "واش تخدم" بمعنى ماذا تعمل؟ والذي يخفي من ورائه عدد من الأسئلة، كمكان العمل؟ مدة العمل؟ دائم أم مؤقت؟...الخ. فمعيار العمل يحمل دلالة ورمزية قوية في المجتمع، كما يحمل مفهوم العمل مدلولا يتعلق بالحياة الكريمة والشريفة، والذي يرمي إلى أن يعيش الفرد على ما تنتجه يداه، أي أن لا يكون عالة على المجتمع أو العائلة لكسب قوته، ويمكننا أن نستشهد على هذا بالرجوع إلى مكانة العمل في ديننا، فهو يحتل مكانة مقدسة، ويضفي الاعتبار والمنزلة الاجتماعية لصاحبه، فيعتبر بحق صورة معبرة للشرف والكرامة.

8- جوانب من معايشة الشباب للبطالة

تعد المعارف السوسيولوجية المتراكمة حول البطالة مهمّة من أجل فتح نوافذ وطرق التفكير بخصوص معايشة الشباب للبطالة، هنا يتجه البحث إلى فهم التأويلات المختلفة التي يقدمها البطالون عن وضعيتهم الهامشية بعبارة أخرى الوقوف على الاستعمالات المختلفة لكلمة "بطالة" والمعاني المرادفة لها في وضعيات متباينة، نبدأ بالبطال "طالب الشغل لأوّل مرّة" نراه يعيش بنموذج مثالي نوعًا ما عن الواقع، لم يحتك به جيدًا، يريد أن يكتشف اللعبة الاجتماعية لأنه لم يدخل بعد إلى منظومة الحياة المهنية التعاقدية الرسمية ولم يلتمس مزاياها الاجتماعية والمادية بخلاف البطالين الذين سبق لهم وأن اشتغلوا من قبل وأصبحوا عاطلين عن العمل لأسباب مختلفة، هؤلاء نراهم يقارنون وضعيتهم الحالية بالوضعية السابقة وقد قابلوا من قبل النموذج المثالي عن الحياة المهنية بالواقع الدرامي بعد انقطاع سيرورة الحياة المهنية، مما ينجر عن هذه العملية انحطاط في المكانة الاجتماعية نتيجة عدم الاعتراف الاجتماعي والوصم الذي يلحق بهم وفي كلا الحالتين نرى بأن البطالة تمثل بداية انكسار الرابط الاجتماعي نتيجة خلل في مسار التنشئة الاجتماعية للفرد الذي يبدأ بالأسرة فالمدرسة ثم عالم الشغل، أمّا من زاوية العمل في القطاع غير الرسمي نجد فئة من البطالين تحاول أن تبتذل البطالة بشكل إيجابي في ممارسة نشاطات ذات مدخول مادي غير مصرح بها، لا تتطلب تأهيلا عاليا، في بعض الأحيان غير قانونية لكنها شرعية من الناحية الاجتماعية، يتمركز هؤلاء في الأوساط الحضرية أو شبه الحضرية والبعض في

الأوساط الريفية، لم يعد بإمكان هؤلاء الحصول على مقابل مادي إلا عن طريق نشاطات هامشية ضعيفة من حيث التأطير تتمركز في سطح الروابط السوقية والعيش الحرّ، قد يصنع العمل غير الرسمي إعادة التراتبية الاجتماعية أو يبني مسألة الاعتراف الاجتماعي حسب طبيعة النشاط الممارس، أشكال ممارساته والمدخول المادي المنجر عنه، هنا قد تتغير منظومة التمثلات الاجتماعية لصالح الواقع الحالي - الحقيقي- مقارنة بسابقه وقد تخرج هذه الوضعية السوسيواقتصادية الجديدة التي تصنع تغييراً في بنية اليد العاملة للبطال من وضعيته الهامشية إلى وضعية العامل غير الرسمي المرقى ماديا واجتماعيا بخلاف البعض الآخر الذي لا زال ينظر على القطاع غير الرسمي بأنه هامشي ولا يمثل مؤشراً على الاندماج المهني ثم المجتمعي نظراً للمشاكل والعوائق المرتبطة به بعبارة أخرى ينظر إليه باعتباره مرحلة مؤقتة فقط أو انتقالية في انتظار الحصول على منصب عمل قار في القطاع الرسمي يناسب مؤهلات أو/وطموحات طالب الشغل. على النقيض من ذلك تظهر فئة من البطالين يحاولون "العيش بدون عمل" إمّا لأنهم فقدوا الأمل في الحصول على شغل أو لأنّ مؤهلاتهم لم تسمح لهم بالاندماج المهني أو لأنّ حراكهم في البحث عن منصب عمل ضعيف نوعًا ما، نراهم ينظمون أنفسهم في محاولة للعيش بمنحة البطالة، دعم العائلة بشبه مصروف يومي، قضاء حاجات مختلفة للعائلة كالتسوق أو قضاء أوقات معتبرة في مشاهدة التلفاز أو الاتصال الإلكتروني عبر شبكات التواصل الاجتماعي على سبيل المثال، البعض يقتلون الوقت على حدّ تعبيرهم بالجلوس مطولا في أماكن معينة، هناك من يلجأ إلى الانحراف بشتى صوره كالسرقة، شرب الكحوليات، تناول المخدرات، فهي علامات على تخريب الذات وتغيرا في الهوية من بطال عادي إلى بطال منحرف أو مجرم ناهيك عن إنتاج مخيال اجتماعي للهروب من الوضعية المزرية نحو الخارج عن طريق الهجرة غير الشرعية، هذه الظاهرة الاجتماعية غالبا ما تكون مؤيدة من طرف الأسرة ومشجعة من طرف المحيط الاجتماعي.

9- الخاتمة

سمحت لنا هاته المحاولة والتي خصصناها لدراسة الفئة الشبابية وبالأخص في المجتمع الجزائري، التأكيد على تعقد الأبعاد المتعددة التي تبلورها وتشكلها، فالأقطاب والأنساق الاجتماعية التي تنتمي إليها هاته الفئة ، تختلف من بيئة اجتماعية إلى بيئة اجتماعية أخرى، وان لم نقل من مجتمع إلى مجتمع آخر، وهذا ما يفسر تعدد التفسيرات في شقها الكمي والكيفي، فهاته المساهمات يمكن حصرها في جانبها الماكروسوسيولوجي الذي يعطي لنا صورة شمولية عن الفئة الشبابية وتمظهراتها في

المجتمع من زاوية كونها نتاج اجتماعي تتطور عبر التاريخ، أما الجانب الآخر والذي يعبر عن المساهمات الميكروسوسيولوجية في البحث والتي تعمل على استظهار مكانة الفئة الشبابية من خلال تواجدها الاجتماعي في المجتمع وتفاعلاتها اليومية مع الأقطاب الاجتماعية التي تنتمي إليها كالعائلة والمدرسة و والوسط المفتوح بشقيه الرسمي وغير الرسمي، والتي تصقل تصرفاته وسلوكه والتي تشكل المنبع لكل فعل وعليه ففهم هاته الفئة يتأتى من فهم الأنساق الاجتماعية التي تكون المجتمع، فالتأسيس لسوسيولوجيا الشباب يتأتى كذلك من تأسيس لسوسيولوجيا المجتمع وأنساقه.

الهوامش

1- Musette Saïb (M): « Regards, critiques sur les jeunes » in Revue cread n° spéciale sur la santé en Algérie. 2004. P 24.

2 - عزت حجازي: **الشباب العربي ومشكلاته**، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ط2، 1985، ص35.

3- Musette Saïb (M): **« Regards, critiques sur les jeunes »,** op cit, P 30.

4- Ibid, PP 30, 31.

5- عزت حجازي: المرجع السابق، ص 35.

6- Van de Velde (C) : **Devenir adulte – sociologie comparée de la jeunesse en Europe**, Ed PUF, 1er édition Paris, 2008, P5.

7- عبد الحفيظ فرغلي: **الاتجاهات الملبسية للشباب**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002، ص321.

8- محمد علي محمد: **الشباب العربي والتغير الاجتماعي**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1987، ص 231.

8- عزت حجازي: المرجع السابق، ص 44.

9 - عبد العالي دبلة: "الشباب، العولمة ونسق القيم" **مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية**، جامعة سطيف، عدد خاص، 2009 ، ص10.

10- Galland (O) : **Les jeunes**, Ed la découverte, Paris, 2002. P78.

11 - El Harras (M) : « Famille et jeunesse estudiantine: Aspirations et enjeux de pouvoir » in (R) Bourqia et al: **Les jeunes et les valeurs religieuses**, éd dif- codesria, Sénégal, 2000, P169.

12 -Baurdieu (P) : « **le capital social, notes provisoires** » Revue Actes de la recherche en Sciences Sociales, W31 le seuil 1980, p02. نقلا عن

ستي زكية: **البطالة عند الشباب**، رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، الجزائر، 2004ص 22.

13- زيدان عبد الباقي: **علم الاجتماع المهني** ، السعادة ، القاهرة، 1976، ص2.

14 - Durkheim (E) : **Sociologie et éducation,** Ed : El Borhane, Algérie, 1991.P15.

*- "المانوس" قبيلة بدائية تتواجد في جزر الأدمير التابعة لغينيا الجديدة قرب أستراليا، أما " الساموا" فهي قبيلة بدائية تتواجد في جزر تقع بين نيوزيلاند ، أستراليا و هاواي.

15-المنجي الزيدي: "مقدمات لسوسيولوجيا الشباب في **مجلة عالم الفكر**، العدد الثالث، يناير-. 2002، ص 41-42.

16 -: American sociological review**,** 1936, n° 01. PP 81.94, in Galland (o) : **Sociologie de la jeunesse (L'entrée dans la vie),** Ed : Armand Colin. Paris, 1991, P44.

17-Galland (o) « Adolescence, post-adolescence, jeunesse » in **revue Française de sociologie** n° 42. 2001. PP 612. 613.

18- Ibid, P616.

19- Eisenstadt « Archetypal Patterns of youth » "in the challenge of youth" New York. 1963. PP 29.50.in Galland (O): **Sociologie de la jeunesse**, op cit, P 48.

20- Musette Saïb (M) : **«** Regards, critiques sur les jeunes »op cit, PP 23, 24.

21- Debesse (M): **« L'adolescence** » Ed. P.U.F. Paris, 1979. P6

نقلا عن المنجي الزيدي: المرجع السابق، ص 43.

22- Bourdieu (P) **: Questions de sociologie**، Ed Minuit, Paris, 1984, P 143.

23- Entretien avec Metailie Anne- Marie Paru dans **les jeunes et le premier emploi** (1978), Association des anges, Paris, PP 520- 530 in Guehria (W) : « La jeunesse n'est pas qu'un mot » in Revue **Insaniyat**, Oran, n° 37, 2007. P 140.

24- Beitone (A), Dollo (Ch) et al **:** sciences sociales, Dalloz, Paris, 2002, P 338.

25- Cunningham (H): « Pourquoi les jeunes anglais quittent ils si tôt leurs parents »,.revue **O.F.C.E**, 1972, PP 207-215 in Galland (O**): Les jeunes**, op.cit, P 54.

26- المنجي الزيدي : المرجع السابق، ص 48.

27- Mohammedi (S.M) : « Contribution à la sociologie de la jeunesse Algérienne», Actes de la journée d'étude du 03/10/2004 in **construction identitaires et projets de vie chez les adolescents C.R.A.S.C** 2006. P 23.

28- Sari (DJ) « La jeunesse et ses émeutes »" in revue **CRASC**, Oran, 2004 in ibid, P 23.

29 - Touraine (a) : **Production de la société**, ed seuil, Paris, 1973, p19

نقلا عن: عبد الرحيم العطري:**"سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية"**، مجلة **إضافات**، عدد 13، بيروت، 2011، ص26.

30 - Beitone(A), Dollo (Ch) et al : op.cit, p.184

31- ساري حنفي: ثورتا الياسمين والميدان-قراءة سوسيولوجية- مجلة **إضافات**، المرجع السابق، ص04.

32- عبد الناصر جابي: "الحركات الاحتجاجية في الجزائر(كانون الثاني/يناير 2011)"، **المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات**، الدوحة، فبراير، 2011، ص 08.

33- علي بوعناقة: **الشاب ومشكلاته الاجتماعية في المدن الحضرية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007، ص121.

34- Boutefnouchet (M) : **La Société Algérienne en transition**, O.P.U Alger, 2004, P33.

35- Boutefnouchet (M) : **Système sociale et changement social en Algérie**, O.P.U, Alger, 2004, P 147.

36-إسماعيل قيرة : «الفقر ومواقف الجماعات المهيمنة في ظل تنامي آليات الاستغلال الجديدة» **مجلة الباحث الاجتماعي**، جامعة قسنطينة، عدد 4، 2003 ،ص 25.

37-مضر خليل العمر، **التركيب الاجتماعي للمدينة والجريمة** ،دار الكندي ،الأردن 2000، ص 91.

38 -Gean (E) et autre : **Dictionnaire de la sociologie**, Hatier, Paris, 1997, p27

39- أنتوني قيدنز: **علم الاجتماع** ،ترجمة ، فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 2005، ص 463.